أزمة الهوية الوطنية ما بين التحديات الخارجية والجهود الاقليمية والدولية

ا م د بشرى حسين صالح

الجامعة العر اقية – كلية القانون والعلوم السياسية
bushra.saleh@aliraqia.edu.iq

https://doi.org/ 10.61884/hjs.v13i51.517

ملخص :

تعد ازمة الهوية الوطنية ظاهرة عالمية، يقصد بها تفضيل واستخدام للهويات الفرعية على حساب الهوية الوطنية، سواء كانت هذه الهويات الفرعية دينية ام قومية ام مذهبية، لذلك تعد هذه الازمة من ابرز مشاكل التنمية، وقد تكون سبب او نتيجة لازمات اخرى ترتبط بها، ولا تنشأ هذه الازمة من تلقاء نفسها، بل لها اسباب داخلية تعاني منها الدولة، وتنتهي في وجود تحديات خارجية قد تكون اقليمية ودولية تساهم في تصدع الهوية الوطنية في زمن اصبحت للتقنية القول الفصل في هذا الموضوع ، اذ بالإمكان التدخل من على بعد اميال في شؤون الدول بل وتأجيج الفتن المتمثلة بالطائفية بضغطة زر، ان ازمة الهوية الوطنية حاضرة منذ تأسيس الدول العراقية، لأسباب داخلية واخرى خارجية، اذ نعتقد ان الاخيرة هي الاخطر لأنها هي من تسبب في التحديات الاولى، لذلك على الدولة العراقية ان تلتفت لحل الازمة وان تنتبه لكلا التحديات مع اعطاء اولوية للتحدي الاخير، بجملة حلول منها استثمار الفرص في اقامة علاقات صداقة مع دول الجوار وعدم التدخل في الشؤون الداخلية واعطاء اولوية لأمن الحدود، وتعزيز التعاون الدولي بتوازن في العلاقات الدولية واعلا مصالح العراق اولاً وهذا يتطلب البحث عن الكوادر الدبلوماسية الوطنية التي تتصف بحنكة وذكاء تساهم في ان يأخذ العراق الدور العالمي الذي يستحقه ومكانته التاريخية والجغرافية.

الكلمات المفتاحية: أزمة، هوية، تحديات، خارجية، جهود.

The crisis of national identity between external challenges and regional and international efforts

AMD Bushra Hussein Saleh
Iraqi University - College of Law and Political Science
bushra.saleh@aliraqia.edu.iq

ABSTRACT

The crisis of national identity is a global phenomenon، which means the preference and use of sub-identities at the expense of national identity، whether these sub-identities are religious، national، or sectarian. Therefore، this crisis is considered one of the most prominent problems of development، and it may be a cause or result of other crises related to it. This crisis arises on its own. Rather، it has internal causes from which the state suffers، and ends in the presence of external challenges that may be regional or international that contribute to the rift of national identity at a time when technology has the final say on this issue، as it is possible to interfere from miles away in the affairs of states، even The strife represented by sectarianism was ignited with the push of a button. The crisis of national identity has been present since the founding of the Iraqi states، for internal and external reasons. We believe that the latter is the most dangerous because it is the one that caused the first challenges. Therefore، the Iraqi state must pay attention to resolving the crisis and pay attention to both challenges، while giving priority to the last challenge، with a number of solutions، including investing in opportunities to establish friendly relations with neighboring countries and not interfering in internal affairs. Giving priority to border security، and strengthening international cooperation with a strict balance in international relations and putting Iraq's interests first. This requires searching for national diplomatic cadres who are characterized by skill and intelligence that contribute to Iraq taking the global role it deserves and its historical and geographical status.

KEYWORDS: crisis، identity، challenges، external efforts.

المقدمة

يتمتع العراق بمجموعة من الخصائص جعلته يأخذ مكانة تميزه عن كثير من البلدان، سواء كانت هذه الخصائص سياسية ام اقتصادية ام اجتماعية، كان بالإمكان ان تكون سبباً يوحد جميع ابناء الشعب العراقي تحت هوية وطنية واحدة، الا ان الواقع، اشار الى عكس ذلك، وهو ان هناك ازمة هوية عانى منها الشعب العراقي منذ تأسيس الدولة العراقية في عشرينيات القرن الماضي حتى يومنا هذا، بقيت اسباب هذه الازمة من الأسئلة التي تبحث عن إجابة واضحة، لماذا هناك ازمة هوية لدى الشعب العراقي ؟.

وعليه، انصراف المتخصصون في البحث عن الأسباب الحقيقة وراء استمرار ازمة الهوية الوطنية في العراق منذ تأسيها كدولة والتي اصبحت اكثر بروز بعد عام ٢٠٠٣ .

من هنا جاءت **اهمية البحث** بمثل هكذا مواضيع، لعل تحديد الاسباب يمكن الباحثة من الوصول الى خارطة طريق للحكومة العراقية ممكن ان تساهم في حل هذه الازمة فيما لو نفذتها الاخيرة عبر خطة خمسية او عشرية.

لذلك فان **مشكلة الدراسة** تكمن بانه على الرغم من ان الدولة العراقية عند تأسيسها اولت التعايش السلمي اهمية خاصة كونه من اساسيات بناء الدول، سوى بفرضه عبر سياسات سلمية او عنيفة، الا ان هناك ازمة هوية عند الشعب العراقي حاضرة منذ التأسيس، ازداد ظهورها بعد عام ٢٠٠٣، وان هناك اسباب وتحديات داخلية مهدت لظهور التحديات الخارجية، وبما ان موضوع البحث في التحديات الخارجية، فما هي الجهود الاقليمية والدولية التي بذلت لمواجهة هذه التحديات، لذلك تبرز لنا من المشكلة تساؤلات فرعية منها:-

- ما هي التحديات الخارجية التي ساهمت في تعزيز ازمة الهوية الوطنية؟
- كيف ممكن ان تكون الجهود الاقليمية لتساهم في حل ازمة الهوية الوطنية؟
- ما هي ابرز الجهود الدولية التي تقود الى وضع الانتماء الوطني فوق الانتماءات الفرعية؟

فرضية البحث:- ان وجود جهود وطنية للتحديات الخارجية لحل ازمة الهوية الوطنية، كفيلة بان تقلل من مشكلة ازمة الهوية الوطنية في العراق في الوقت القريب، وبالإمكان ان تنهي الازمة في المستقبل البعيد فيما لو عدت الدولة سلسلة اجراءات اقليمية ودولية. أما منهج **البحث** يقتضي عنوان البحث استخدام المنهج الوصفي التحليلي لدراسة ومعرفة التحديات الخارجية التي تواجه البلد والمسببة لازمة الهوية وصفاً للوصول الى التفسيرات لمعالجة التحديات في ضوء زمة الهوية.

هيكلية البحث، تم تقسيم البحث عبر محاورين فقط، ناقش المحور الاول التحديات الخارجية بشقيها الاقليمية والدولية ليكون المحور الثاني مركزا على الجهود الاقليمية والدولية التي ينبغي على الدولة العراقية بذلها للوصول الى حل لازمة الهوية الوطنية، ثم تأتي الخاتمة بشقيها الاستنتاجات والتوصيات.

المحور الاول: -التحديات الخارجية لازمة الهوية الوطنية

بادئ ذي بدء، لابد من معرفة ما المقصود بمصطلح ازمة الهوية؟ وهل هناك ازمات مرتبطة بأزمة الهوية او تؤدي اليها؟ ثم أبرز التحديات الداخلية للولوج في التحديات الخارجية بسهولة الى المجتمع العراقي.

من الجدير بالذكر ان العراق يتكون من مختلف الجماعات الوطنية التي تتباين فيما بينها من حيث الديانة، واللغة والقومية والطائفة، وهذه التقسيمات هي تمثل هويات فرعية، جامعة لهن الهوية الوطنية، الا ان واقع الحال يشير الى ان الهوية الوطنية لم تستطيع ان تجمع الهويات الفرعية لصالحها. ومن هنا نستطيع القول بأن هناك العشرات او حتى المئات من التعاريف لمصطلح ازمة الهوية الوطنية، كل التعارف تتشابه في الخطوط العامة وقد تختلف من حيث الجزيئيات، بسبب اختلاف وجهات نظر الباحثون والمهتمون بحسب اختلاف بيئاتهم من حيث الزمان والمكان والاحوال المحيطة بهم، لذا سيتم اختيار اقرب تعريف ينطبق وموضوع بحثنا هذا، ولا بد من ذكر حقيقة مفادها، ان ازمة الهوية الوطنية ظاهرة عالمية، وبالتالي فان العراق واحد من هذه الدول التي تعاني من ازمة هوية وطنية، ونحن هنا امام مصلحان الاول الهوية الوطنية والثاني نقيضه ازمة الهوية الوطنية، فالأول يعني الرابطة التي تجمع وتوحد الافراد وتجعل منهم، شعوبا، تترجم روح الانتماء لدى أبنائها ورفع شأن الأمم وتقدمها وازدهارها في بناء الدولة وبدونها تفقد الجماعات كل معاني وجودها واستقرارها، وتعد في المنظور السياسي المحور المركزي في عملية بناء السلطة والدولة التي ينبغي ان تتأسس على هوية وطنية مجتمعية واحدة، بينما الثانية تعني : وجود خلل في تكوين الهوية الوطنية يجعلها

مصدرا لشكل من اشكال التوتر في علاقاتها مع الهويات الأخرى، مما ينعكس على الفرد في نقص الشعور الطبيعي المطلوب لاستمرارية الوجود التاريخي للفرد، بمعنى آخر الشعور بالقلق الشديد والاضطراب النفسي الذي ينعكس سلبا على تماسك الشخصية وثباتها، فيؤدي بهم إلى الارتباك في أدوارهم، وفقدان المعنى أو الغرض من حياتهم، وعدم معرفة إلى من ينتمون [1]، ويعد أخطر ما في موضوع الهوية الوطنية انها مرتبطة بالتنمية، والعلاقة بينهما علاقة طردية، فوجود ازمة في الهوية الوطنية ينفي وجود تنمية للدولة بل يؤدي الى ازمات عدة مرتبطات بعضهن ببعض وهي ازمات[2]، التغلغل والتكامل والشرعية والتوزيع والاندماج والمشاركة) ولكل ازمة مما ذكرت آنفا مفهومها واسبابها ومعالجاتها.

ويعد أخطر ما في موضوع الهوية الوطنية انها مرتبطة بالتنمية، والعلاقة بينهما علاقة طردية، فوجود ازمة في الهوية الوطنية ينفي وجود تنمية للدولة

ومؤكدا ان للهوية الوطنية تحديات داخلية واخرى خارجية اقليمية كانت او دولية، نذكر باختصار التحديات الداخلية لنسهب بالتحديات الخارجية موضوع محورنا هذا، ونشير الى ابرز واهم التحديات الداخلية التي ساهمت في بروز ازمة الهوية الوطنية وهي[3] :-

١. فشل المملكة العراقية في ادارة حالة التنوع الاجتماعي في العراق طيلة مرحلة العهد الملكي مرورا بالنظام السياسي في عهد(حزب البعث المحل) الذي استخدم العنف لجمع مكونات الشعب العراقي على اختلاف اطيافه العرقية والدينية والمذهبية تحت هوية موحدة .
٢. الحروب التي خاضها نظام (صدام حسين) بدءا من حرب الخليج الاولى بين العراق وايران عام ١٩٨٠ مروراً والحصار الاقتصادي، انتهت بسقوطه عام ٢٠٠٣ في حرب الخليج الثالثة جعلت النظام آنذاك يتجه للجانب العسكري على حساب الجانب الاقتصادي والاجتماعي.
٣. تميزت مرحلة ما بعد العام ٢٠٠٣ في انتهاج سياسات عززت من ازمة الهوية الوطنية منها الاعتماد على مبدأ المحاصصة الطائفية

(١) المختار عمر برطشة، ازمة الهوية الوطنية في ليبيا وانعكاساتها على الاستقرار السياسي، (مجلة كلية الآداب، العدد ٢٩، ج٢ حزيران ٢٠٢٠)،ص٣٩٧.

(٢) كاظم علي مهدي، التنمية السياسية وازمات النظام السياسي في العراق بعد عام ٢٠٠٣، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية : ٢٠١٨)، ١٣٨.١٤٢.

(٣) حميد فاضل حسن، الهوية الوطنية العراقية: ازمات الماضي والحاضر، مجلة العلوم السياسية، العدد ٣٤، كلية العلوم السياسية، (جامعة بغداد :٢٠٠٧)، ص٦٣ وما بعدها.

في توزيع المناصب الحكومية، وبذلك تعزز ولاء الفرد نحو الهوية الفرعية بحجة الديمقراطية التوافقية الامر الذي انعكس على ضعف الأداء الحكومي.

٤. ما احتواه الدستور العراقي من مواد عززت الهويات الفرعية على حساب الهوية الوطنية ومخرجاته من تشريعات هي الاخرى ساهمت في تعزيز الهوية الفرعية ومنها الانظمة الانتخابية التي اعتمدت على صوت العشيرة في الفوز بمقاعد نيابية.

٥. الفساد الاداري والمالي وما تمخض عنه من مخرجات عززت الازمة الاقتصادية وتبعاتها في البطالة والفقر وغلاء المعيشة....الخ .

ما ذكر اعلاه هو النزر اليسير، لان موضوع البحث هو التحديات الخارجية، اذ ان لها الدور الاكبر في تأجيج الانتماءات الفرعية على الانتماء الوطني، بدءاً من قرن العشرين وانتهاء ببداية قرن الحادي والعشرين، وما دار بين القرنين من تدخلات دولية في الشؤون العراقية الداخلية، تلك التدخلات التي اثرت على مقومات السلم المجتمعي بين ابناء المجتمع الواحد. لذا سيتم بحث التداعيات التي كان لها اليد الطولى في تعزيز الانتماءات الفرعية وهي:

١. **الاستعمار الاجنبي هما :-**

أ. **الاحتلال البريطاني**، لقد حرص هذا الاستعمار عند احتلاله للعراق على انتهاج سياسات عززت قيام دولة طائفية[٤]، قاصداً بذلك دولة ضعيفة عبر الاعتماد على شيوخ العشائر عن طريق الترغيب في حكم العراق، عندما عينت مجلس قبلي لحل المشاكل العشائرية وخصصت لهم الإدارة البريطانية مكافآت مجزية بلغت ثلاثمائة روبية شهرياً مبتعدة عن القوانين المدنية في معظم مدن العراق التي احتلوها بل قامت بالإلغاء لمعظم القوانين باستثناء ما يتناسب وسياستهم الاستعمارية، كما ان تصرفات حكامها في التعامل مع العراقيين وفي التأثير المباشر في المجتمع العراقي من خلال سياسة (فرق تسد)، كان محصلتها تعزيز التناقضات والمشكلات الاجتماعية

(٤) وجدان فالح حسن الساعدي، نمط ادارة الحكم في العراق واثاره السياسية والاقتصادية للمدة (١٩٢١-٢٠٠٦)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، (جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية: ٢٠٠٧)، ص ٦٤.

والسياسية وان مبدأ (تقرير المصير) وجدت فيه ايسر وسيلة للسيطرة عليهم وتحقيق سياستها الاستعمارية [٥]

ب. **الاحتلال الامريكي**، ساهم هو الاخر عبر سياسات تهدف الى تصدع الهوية الوطنية، لاسيما بعد ان اتخذ جملة قرارات قادت الى تعزيز ازمة الهوية الوطنية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ما اتخذه الحاكم المدني (بول بريمر) الرجل الأول في تأجيج الهويات الفرعية [٦]، منها تشكيل مجلس الحكم الانتقالي والحكومتان المؤقتة والانتقالية على أسس عرقية ومذهبية، لزعزعة الثقة وتأجيج الازمات السياسية والاختلافات الطائفية، ثم جاءت سياسات حل المؤسسات الحكومية منها الجيش العراقي وهيئة التصنيع العسكري ووزارة الاعلام، وتأليف جيوش من العاطلين، وصدور مائة تشريع وقانون اثناء مدة حكمه الـ (١٣) شهراً، ما زالت تداعياتها مستمرة الى يومنا لاسيما في المؤسسات تعمل بموجبها الى الان [٧]، فضلا عن السياسة التي جاء بها الاحتلال منفذا لها في العراق وهي الفوضى الخلاقة، والاخطر من ذلك هو تنفيذ الكتل السياسية لاحقا ما سنه الحاكم المدني (بول بريمر) من هويات فرعية لتأسيس الحكومات، وفي سياق ذلك، بدأت سياسية القوة الناعمة بقوة، تنفذ هي الاخرى اجندة امريكية عبر وسائل الاعلام فبات كل صاحب مذهب أو طائفة أو قبيلة أو عشيرة مالكاً لقناة فضائية أو أكثر، يعمل فيها على تصريف خطابه الطائفي، وهو في معظمه ضد هذا المذهب أو ذاك، او هذه الطائفة أو تلك، كل ذلك من اجل تقسيم العراق الى ثلاث مناطق موكدا بتقسيمها ستكون ضعيفة تخدم امن اسرائيل وامريكا، خير من دولة واحدة قد تهدد الامن القومي الامريكي عبر امن اسرائيل المهدد ، وعلى الرغم من ان الموقف غير الرسمي العراقي (الرأي العام) يرفض كل توجه سياسي نحو التقسيم [٨].

(٥) فلاح محمود خضر البياتي وعبد الكريم حسين عبد، سياسة الاحتلال البريطاني للعراق في منطقة الفرات الاوسط ١٩١٧-١٩٢٠م، (مجلة كلية التربية الاساسية، جامعة بابل، العدد /٦ : ٢٠١٢)،ص٤٢٥.

(٦) اسعد عبد الوهاب عبد الكريم ورؤى خليل سعيد واخرون، بناء دولة العراق تيارات متضاربة ورؤى مستقبلية، مؤسسة الرضوان الثقافية، ط١ (بيروت ، لبنان: ٢٠٢١) ، ص٦٥ .

(٧) نيثان غردلز مايك ميدافوى، ترجمة بثينة الناصري، الاعلام الامريكي بعد العراق حرب القوة الناعمة، المركز القومي للترجمة، ط١، (مصر، القاهرة:٢٠١٥)، ص٢٦.

(٨) اسراء كاظم الحسيني، التحولات الجغرافية السياسية والفوضى الخلاقة، مجلة كلية التربية، (جامعة واسط، العدد عشرون: تموز ٢٠١٥)، ص٤٧٨-٥٠١.

ثانياً، الدور الاقليمي في رسم سياسة العراق الداخلية.

يتوسط العراق اربعة دول عربية واثنتين غير عربية ذات انظمة سياسية وديانات وقوميات ومذاهب مختلفة، الا انها تشترك بانها انظمة سلطوية، فمن الطبيعي ان تكون لديهم الخشية من التغير الذي حدث في العراق، فقد يقود ذلك الى التأثير على انظمتها السياسية، لا سيما مع وجود رغبة امريكية بأحداث تغير في المنطقة، لذلك فجميع دول الجوار مقتنعة بان نجاح التجربة الامريكية في العراق تجعل هذه الدول ذاهبة الى ذات الاتجاه في المنطقة شاءت ام أبت فتسري وعلى نفس الخطة التي تعدها السياسة الخارجية في الولايات المتحدة الامريكية [٩]، لذلك كان من مصلحة دول الجوار هي تصدع الهوية الوطنية العراقية لصالح الهويات الفرعية، لما لهذا الامر من اطالة امد عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي في العراق، الامر الذي يعقد احوال العراق، ويبعد خطر التغير على انظمتهم في حالة فشل تجربة العراق، وسبب ما ذكر آنفاً كانت النتائج الاتية لتأثيرات للأطراف الإقليمية :-

١. بروز الجمهورية الاسلامية الايرانية الفاعل الرئيس في العراق، مزاحمة بذلك الفاعل الاصلي وهي الولايات المتحدة الامريكية ومستغلة اخطائهم في العراق، ومستثمرة تقارب مذهبها السياسي الرسمي والاجتماعي غير الرسمي مع مذهب اغلبية الشعب العراقي ومتخذة سياسات استفزازية ضد امريكا، عززت تلك السياسات المخاوف العربية من ان ايران المعروفة لديهم كما يعتقدون بان سياستهم قائمة على ان مصالحهم فوق الجميع بغض النظر عن الادوات المستخدمة بما فيها الهويات الفرعية المذهبية في تعاملها مع العراق، وعليه زادت قناعتهم بان كل تقارب عراقي- ايراني يزداد معه القلق العربي على المستوى الرسمي والشعبي[١٠]، فادينت ايران من قبلهم بانها دعمت فصائل مسلحة، ضد فصائل مسلحة اخرى لتحقيق مصالح ايرانية اولا بينما جاء الموقف الرسمي العراقي في غير ذلك ثانياً[١١] .

٢. خشت المملكة العربية السعودية ما حدث من تغير في العراق،

(٩) نيفين عبد المنعم مسعود، صنع القرار في ايران والعلاقات العربية -الإيرانية، ط٢ ، (مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، بيروت: ٢٠٠٢)، ص ٥٩-٦٠.

(١٠) احمد السيد النجار واحمد يوسف احمد ونيفين مسعد واخرون، حالة الامة العربية ٢٠١٧-٢٠١٨ عام الامل والخطر، ط١، (مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، بيروت : ٢٠١٨) ، ص ٦٢ .

(١١) احمد عبد ربه وزياد حافظ ونيفين مسعد واخرون، حالة الامة العربية ٢٠١٢-٢٠١٣ مستقبل التغير في الوطن العربي مخاطر داهمة، ط١، (مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان ، بيروت : ٢٠١٣) ، ص ٢٣٦ .

رغم انها كانت اللاعب الاساس فيه عبر ما مكنته في حدودها لقوات التحالف الدولية، لا ان في ذات الوقت تدرك تماماً ان نجاح التجربة في العراق يضعها بأحراج كبير امام شعبها لاسيما المختلفين مذهبيا مع العائلة المالكة والحكومة واغلبية الشعب وتحديدا في مناطقها(الشرقية نجران والاحساء) [١٢]، فدعمت هي الاخرى الجماعات الارهابية المتطرفة قاصدة في ذلك امكانية قيام اقليم على اساس المذهب ، فغضت النظر في مراقبة حدودها اولاً واعطت للأفكار المتطرفة الصادرة من جوامعهم ثانيا فرصة للولوج الى المجتمع العراقي، فجمعت التبرعات المادية والعينية من كبار التجار في السعودية فضلا عن الدور الاهم وهو ادخل المقاتلون المتطرفون من مختلف الجنسيات العربية وغيرها عن طريق الكويت وسوريا لدعم الارهاب في العراق وقتال شعبه واسقاط حكومته [١٣].

٣. تشاطر سوريا مع السعودية ذات المشكلة، ولكن باتجاه معاكس، فالحكومة السورية هي من اقلية تنفرد بالحكم تجاه اغلبية من مذهب اخر، فضلا عن وجود اقليات اخرى، لذلك نجد سوريا تخشى التغير في العراق فحرصت على اثارة الفتن الطائفية وبالتالي الهويات الفرعية للشعب العراق، في وقت كان الشعب العراقي مهيئاً لمثل هذه الفتن، وبذلك ظهرت الاصوات المتطرفة في سوريا امثال (الشيخ احمد كفتارو) و(الشيخ رمضان البوطي) تحث الشباب على القتال في العراق ضد القوات الامريكية والحكومة الجديدة وكل من يختلف معهم، وبذلك اصبحت سوريا معسكرات قتال لتدريب المقاتلين المتطرفين العرب والجنسيات الاخرى من التنظيمات الارهابية ضد العراق ومعزز التضامن الطائفي القادم من خارج الحدود[١٤].

٤. تركيا هي الاخرى لم تكن ترغب في التغير الحاصل في العراق منذ البداية، وادركت خطورة وجود ديمقراطية على ارض مجاورة، وتجلى ذلك عندما رفضت استخدام اراضيها للقوات التحالف الدولية في حربها مع نظام (صدام حسين) في العراق، الا ان الحقيقة في الجانب الاخر لا تغفل دور تركيا المحوري والمهم في النظام السياسي

(١٢) احمد حلواني ويسري العزباوين واخرون، حال الامة العربية ٢٠١٥-٢٠١٦ العرب وعام جديد من المخاطر، ط١، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان : ٢٠١٦)، ص٢٦٤ .

(١٣) احمد عبد ربه وزياد حافظ ونيفين مسعد واخرون، حال الامة العربية ٢٠١٢-٢٠١٣ مستقبل التغيير في الوطن العربي مخاطر داهمه، مصدر سبق ذكره، ص ٩٠.

(١٤) ابراهيم نصر الدين وماجد كيالي واخرون، حال الامة العربية ٢٠١٣-٢٠١٤ مراجعات ما بعد التغيير، ط١ ، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان،: ٢٠١٤)، ص ٣٤٣ .

الجديد في العراق، بسبب التداخل القومي والديني المذهبي وروابط الجغرافية المتداخلة كالحدود المشتركة والموارد المائية، فضلا عن انها منفذا رئيسا لتصدير النفط العراقي، لذلك كان هناك حرص من قبل النظام العراقي الجديد ومنذ الوهلة الأولى على الانفتاح باتجاه تركيا وطمأنتها عن ماهية النظام السياسي الحديث، لا سيما ان تركيا تتخوف من مخرجات الديمقراطية في العراق كموضوع الفيدرالية التي قد تمهد لتقسيم العراق الى دويلات (شيعية) واخرى (سنية) والثالثة (كردية) والاخيرة هي ما تضر النظام السياسي في تركيا، وتضر بالأمن القومي التركي، لاسيما وان تركيا متهمة باضطهاد الكرد في دولتهم، لذلك عبر الساسة الترك مرارا وتكرارا عن ذلك التخوف من الفيدرالية فيما لو نفذت في العراق، لذلك اخذت تستثمر حاجة العراق لها لتعظيم مكاسبها على حساب الشعب العراقي، لذا عملت على التنسيق مع القومية التركمانية في البلد ومساعدتها في تكوين جهة سياسية لتنخرط في الميدان السياسي العراقي اي اثارة هوية فرعية قومية على حساب الهوية الوطنية كسبا للوقت وتحقيقا لهدف فشل التجربة في العراق [١٥].

(١٥) لطيف كامل كليوي، تحليل جغرافي سياسي للسياسة الخارجية العراقية حيال تركيا وايران، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة البصرة، كلية الآداب، قسم الجغرافية : ٢٠١٤)، ص٢٣٥.

دول الجوار كان لها الدور الرئيس السلبي في تأجيج الهويات الفرعية في العراق الذي ادى الى خسائر بشرية وكبد الاف الشهداء منذ عام 2003 وخسائر في الممتلكات والمؤسسات بسبب التفجيرات

وهكذا نجد ان دول الجوار كان لها الدور الرئيس السلبي في تأجيج الهويات الفرعية في العراق الذي ادى الى خسائر بشرية وكبد الاف الشهداء منذ عام ٢٠٠٣ وخسائر في الممتلكات والمؤسسات بسبب التفجيرات التي طالتها من الارهاب القادم من الحدود بضمنها الحدود التركية، وحتى تحرير اراضي عراقية من تنظيم داعش الارهابي عام ٢٠١٧، كانت العلاقات العراقية – التركية في تذبذب دائم رغم ما قدمه العراق من معلومات استخباراتية للجانب التركي لتجنب الارهاب في دولتهم، وكذلك الحال مع بقية دول الجوار عدا ايران ولسنوات، ثم تطور الى تعاون مع سوريا بعد التقاء المصالح في مقاتلة تنظيم داعش الارهابي الذي رفع ما يسمى بـ (تنظيم الدولة في العراق والشام) واحتل مدن سورية .

٣. الإرهـاب،أنَ رفض دول الجوار ولو ضمناً للنظام السياسي العراقي عام ٢٠٠٣، رافقته رغبة الشعب العراقي في بناء نظام ديمقراطي بعيداً عن الديكتاتورية المستندة للعنف والقتل التي عانوا منها عقود اقساها كانت تلك التي مارسها نظام (صدام حسين) بحق الشعب العراقي، ألا أنَ هذه الآمال وقف امامها حجر عثرة التحديات الخارجية كان خطرها الإرهاب الذي ظهرت فيه تنظيمات متطرف ومسلحة يقوم مبدأها على مقاتلة ابناء الشعب العراقي، والقوات الامنية وقوات التحالف الدولية، فيكاد لا يخلو بيت عراقي من ان يكون احد ابناءه ضحية للإرهاب الذي اجتاح البلد بعد عام ٢٠٠٣ . ولعل اخطر هذه التنظيمات الارهابية هي :

اولاً:- تنظيم القاعدة الإرهابي، استخدم هذا التنظيم الارهابي مختلف أنواع الترهيب المادي والمعنوي ضد العراقيين منذ عام ٢٠٠٣، ذهب ضحيته مئات الآلاف من العراقيين بين شهيد وجريح، اذ اعتمد على استراتيجية ارهابية مفادها ان قتل العدو هو كما يزعم، تمهيداً لإقامة دولة إسلامية [١٦]، معتمدا على منهجية وهي [١٧]، استهداف القوات التحالف الدولية واهمها القوات الأمريكية في الأراضي العراقية والإطاحة بالحكومة العراقية وكل من يؤمن في العملية السياسية بعد عام ٢٠٠٣ من ابناء الشعب العراقي لذلك جاء هدف استهداف السكان الذين يعارضون أعمال التنظيم الإرهابية والقيام بقتلهم وترويعهم، وعليه اعتمد تنظيم القاعدة الارهابي لتنفيذ خططه اعلا على سلسلة افعال لعل ابرزها هي [١٨]:-

أ. تفجيرات مخصصة لمرقدي الإمام علي الهادي والامام حسن العسكري عليهم السلام في مدينة سامراء التابعة لمحافظة صلاح الدين عام ٢٠٠٦، والذي يمثل مراقد مقدسة لدى المسلمين (الشيعة) في العراق.

ب. ارتكاب جريمة (عرس الدجيل) في مدينة التاجي في محافظة بغداد، راح ضحيتها (٧٠) مواطن من طائفة واحدة من المسلمين وقد رميت جثثهم في نهر دجلة كاستفزاز اجرامي ضد عوائلهم.

(١٦) خير سالم ذيابات ، التوجهات الاستراتيجية لتنظيمي القاعدة والدولة الاسلامية :دراسة مقارنة / مجلة المنارة للبحوث والدراسات / المجلد ٢٢،العدد ٣، (جامعة آل البيت ، الاردن ٢٠١٦:)، ص٣٤٢.

(١٧) حسن ابو هنية و محمد ابو رمان، تنظيم الدولة الاسلامية: الازمة السنية والصراع على الجهادية العالمية، ط/١ ، (مؤسسة فريد رش ايبرت ، عمان : ٢٠١٥)، ص٣٨.

(١٨) علي صباح صابر، الاحتلال الامريكي على العراق واشكالية بناء الدولة ،٢٠٠٣-٢٠١٤، جامعة الشرق الاوسط، كلية العلوم السياسية، (رسالة ماجستير غير منشورة)،(عمان : ٢٠١٥)، ص٤٣-٥٠.

ج. استهدف المدنيين المسلمين المتوجهين للاماكن المقدسة لأداء مراسيم الزيارة الدينية في أماكن مختلفة من البلاد بأحزمة وسيارات مفخخة .

د. ارتكاب ابشع الجرائم ضد الأقليات في العراق لعل اشهرها ما حدث في مدينة تلعفر التي يقطنها ابناء القومية (التركمانية) وما حدث في مجمع القحطانية في ذات المحافظة (نينوى) الذي يقطنه أبناء الديانة الإيزيدية عام ٢٠٠٧.

هـ. ارتكاب جرائم ضد ابناء الشعب المسيحي واماكنهم المقدسة وهذا ما حدث على كنيسة سيدة النجاة في بغداد عام ٢٠١٠، الذي راح ضحيتها العشرات من المسيحيين بين شهيد وجريح.

و. لم تكن المدن التي تضم مختلف الطوائف والديانات بعيدة عن جرائم التنظيم بل العكس تماما كانت من اوائل المدن المستهدفة لجرائم التنظيم، لذلك عانت من حملات الترهيب و التهجير القسري في محاولة لأثارة الفتن الطائفية وبالتالي الاقتتال بين أبناء البلد وأشغالهم عن معارضته ورفض أعماله الإجرامية .

ثانياً: تنظيم داعش الإرهابي

لم تختلف استراتيجية ارهاب تنظيم داعش في طرق الاجرام عن اجرام تنظيم القاعدة إلاَ إنَه واقعا اكثر اجرام من التنظيم الذي خلفه، وذلك لان استراتيجيته التنظيم القاعدة ركز على ضرب القوات الامريكية والاجانب اولا ثم العراقيين، بينما ركز تنظيم داعش الارهابي[١٩]، على استهداف أبناء الشعب العراقي بحسب طوائفهم واخطرهم حسب اعتقاده الطائفة (الشيعية) ووصفهم من قبله بـ (الروافض) وكل من يخالفهم في العقيدة ويرفضون أعمال التنظيم الإجرامية (السنة) ووصفهم من قبله بـ (المرتدون) والمسيحيون ووصفهم من قبله بـ (الكفرة) والازيدية ووصفهم من قبله بـ (الأنجاس) وغيرهم، كونهم اختلفوا معه في الفكر والمعتقد، فكان نتيجة هذه المعتقدات هو الهجوم على مدينة الموصل فجر يوم ١٠ حزيران

(١٩) حسن سالم بن سالم، تنظيم داعش والارهاب العابر للحدود ، الرياض ، (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية : ٢٠١٦)، ص٥.

٢٠١٤، وهي بمثابة الخطوة الأولى التي خطط لها التنظيم، ليقوموا بعدها على الخطوة التالية وهي اقامة دولتهم المزعومة في العراق وبلاد الشام ثم مقاتلة الاجنبي وكل من يخالف فكره مرتكبين الجرائم القائمة على الهوية الفرعية منها[٢٠]:-

(٢٠) رفعت سيد احمد ، داعش خلافة الدم والنار،ط/١ ، (دمشق ، دار الكتاب العربي :٢٢٦-٢٧,٠١٤).

أ. قتل المدنيين ممن يخالفون التنظيم في افكارهم ومعتقداتهم، داخل مدنهم بطرق مختلفة منها السيارات المفخخة والعبوات والأحزمة الناسفة والخطف بقصد الاعدام او الذبح من مختلف الاماكن في البلاد بما فيها المحافظات، كما في مجزرة نفذت في مدينة (هيت) في محافظة الأنبار عام ٢٠١٤ كعقوبة لن يخالفهم العقيدة

ب. الحقد الموجه ضد المعالم التاريخية والأثرية العراقية شاملة لمختلف الديانات، ونشر الجرائم ضد الاماكن الدينية والتاريخية عبر الاعلام المريء وتحديد عبر منصات التواصل الاجتماعي لغرض استفزاز مشاعر المواطنين وإجبارهم على الامتثال لعقيدتهم الارهابية.

ج. عدت مرحلة تنظيم داعش الارهابي أخطر مرحلة تعنيف في تاريخ المرأة العراقية في العصر الحالي لاسيما العنف الذي طال النساء الازيديات ثم نساء الشبك والمسيح وكل من ترفض تنفيذ اوامرهم التي تصدر عبر وثائق خاصة بالنساء وتنشر اعلاميا او بين الازقة والشوارع بين الحين والاخر.

د. التهجير القسري من قبل التنظيم لابناء المدن المحتلة او هجرة المواطنين الأبرياء بمحض الارادة لاسيما في بداية الاحتلال الى مدن اخرى، تعبيرا عن رفضهم لسياسات وانتهاكاتهم التنظيم الارهابي، واذ ما بقوا في مدنهم ففي أحسن الاحوال فان تنظيم داعش الارهابي جعلهم يعيشون مفتقدين لأبسط مقومات الحياة وعرضة للإعدامات.

هـ. وثقت بعثة الامم المتحدة (يونامي) المقابر الجماعية التي خلفها التنظيم، وصل العدد الى (٢٠٢) مقبرة جماعية احتوت على رفات منتسبي الاجهزة الامنية وكذلك المدنيين.

و. لم تسلم منهم لا الأراضي الزراعية ولا حتى الثروة الحيوانية، ما بين حرق وسرقات، وتفجير الآبار النفطية وزرع المتفجرات في المناطق التي ينسحبون منها مخلفين دمار كبير في البنى التحتية.

المحور الثاني :- الجهود الاقليمية والدولية لحل أزمة الهوية الوطنية.

ان الحفاظ على الهوية الوطنية للدولة في ظل الاحوال أنفة الذكر، تعتمد على القدرة والقابلية في مواجهة التحديات التي تحول دون تحقيق هوية وطنية، وطالما ان موضوع دراستنا حول التحديات الخارجية ستقتصر على الحلول الاقليمية والدولية وعبر الاتي»

١. **تعزيز الامن القومي وحماية أمن الحدود**، بسبب الفوضى التي رافقت بداية تغير النظام في العراق وعدم السيطرة على الوضع الامني، برزت لنا الحدود الجغرافية مغذيات رئيسية للهويات الفرعية ومن ثم عدم الاستقرار الداخلي، فأصبحت قضية الحدود العراقية مع دول الجوار بعد عام ٢٠٠٣ من القضايا المهمة والملحة لاستتباب الامن والاستقرار، اذ دخول الارهاب عبر الحدود كان السبب الرئيس في انتشار العنف والحرب الاهلية واستثمر كل من العنف والحرب الاهلية في اصدع الهوية الوطنية، لان الارهاب هنا رفع شعار حماية الهويات الفرعية، لذلك اصبح الحديث عن امن واستقرار العراق مرتبطاً بتأمين الحدود والسيطرة عليها وسنشير الى اخطر هذه الحدود وهى :-

اولاً:- الحدود العر اقية / التركية : تشكل نسبة ١٠،٩ ٪ من طول حدود العراق مع تركيا قياساً الى الحدود مع دول الجوار، وتعد كل من محافظات اربيل، ودهوك هي المحافظات الحدودية مع تركيا، بينما تمثل مقاطعة (حكاري) و(شرناح) هي المحافظات الحدودية من قبل الجانب التركي، واغلب سكان مناطق الحدود بين العراق وتركيا هي من قبائل (مزوري وهركي، وبرواري وبارزان وزيباري)، وتمثل السلاسل الجبلية في الحدود التركية / العراقية شمالا، موانع حدودية طبيعية، وهي تكاد تكون آمنة الى حد ما من الجانب العراقي ضد تقدم للقوات التركية ، اما القسم الغربي فسهولة الأراضي جعلها غير آمنة للقوات العراقية، ومخترقة باستمرار من القوات التركية كلما تطلبت مصالحهم، وبحجة ملاحقة حزب العمال الكردستناني التي يقطن تلك المناطق مسبباً باستمرار خرق للسيادة العراقية، وما يتضمنه هذا الخرق من احراج للنظام السياسي العراق امام الرأي العام المحلي اولا ثم العربي والدولي ثانياً لذلك اتسمت العلاقات

التركية / العراقية بعد عام ٢٠٠٣ على مرتكزات ثلاثة هي[٢١]:

أ. وجود قواعد حزب العمال الكردستاني التركي المارض لنظامه في شمال العراق الحجة التي تتذرع بها في خرق السيادة العراقية .

ب. قضية القومية التركمانية العراقية ومحاولات الكرد في التغيير الديمغرافي لمدينة كركوك بما يجعل المادة (١٤٠) من دستور العراق الدائم لعام ٢٠٠٥ لحساب القويمة الكردية .

ج. قضية المياه لنهري دجلة والفرات ومحاولات تركيا اثارت المشاكل باستمرار مع الجانب العراقي عبر تقليل من الحصص المائية للعراق وإقامة السدود من دون مراعاة الأعراف والقوانين والاخلاق الدولية ومبدأ حسن الجوار في القانون الدولي العام .

د. المحاولات المستمرة من قبل حكومة الاقليم في كردستان من قيام دولة كردية يمثل بنظر تركيا خطراً على وحدتها.

هـ. تتخوف تركيا من النفود الإيراني وتعاظمه على حساب تعاظم الدور التركي في العراق جعل تركيا، تخطوا لنفسها سياسية تحقق فيها مصالحها الحيوية.

على ضوء ما ذكر سابقاً فان العراق يعد بالنسبة الى تركيا ذي اهمية كبيرة من جميع النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، لذلك فان دورهم لم يكن بمستوى مبدأ حسن الجوار بعد عام ٢٠٠٣، اذ ان التغافل في دخول رجال وعوائل التنظيمات المتطرفة كانت واضحة للعيان، كما ان حجج التدخل في الشأن العراقي ليس صحيحاً بل كان تأجيج للهويات الفرعية، ونشر الطائفية بين ابناء الشعب العراقي، ساعدها في ذلك اتساع الحدود من جهة ونوعية الحدود من جهة اخرى ، فضلا عن ضعف الهوية الوطنية لسكان المنطقة الحدودية بين الطرفين، كل ذلك ساعد على تأرجح العلاقات العراقية – التركية .

ثانياً:- الحدود العر اقية / السورية، تشكل نسبة ١٧،٣ ٪ طول الحدود العراقية / السورية من طول الحدود مع دول الجوار، محققة بتلك الحدود

(٢١) ظلال جواد كاظم، احمد مرزوق عبد عون، الحدود السياسية لبعض دول جوار العراق وأثرها في نمو ظاهرة الإرهاب بعد عام ٢٠٠٣ ، مجلة البحوث الجغرافية ، العدد (٢٧) ، (جامعة الكوفة ، كلية التربية للبنات)، ص ٢٨٩-٢٩٠ .

المرتبة الثالثة ومكونة امتداد حدودي طبيعي في الجنوب للمنطقة المتموجة بين دجلة والفرات، وبسبب تساقط الامطار اصبحت مناطق صالحة للسكن، مثل الجانب السوري في المدن الحدودية كل من مدينة (اليعربية) و(المالكية) ومدينة (القائم) المدينة الحدودية للجانب العراقي على امتداد نهر الفرات، سكنت المدن الحدودية بين الطرفين عشائر من (الكرد والصلبة والعكيدات والجغايفة، وعنزة وشمر) ولا تشكل الحدود بين العشائر أي عائق إمامهم في التنقل بين المدن، وبما ان السكان على جانبي خط الحدود من قوميتين عربية وكردية ومذهب واحد، فقد استغلت تنظيم داعش الارهابي بعض هذه العشائر، بحجة الطائفية والتهميش من قبل النظام السياسي، جعل هذه المدن آمنة لنشاطات التنظيمات الارهابية،على الرغم من ان هناك اكثر من عامل يلتقيان به كل من العراق وسوريا ليحققا التعاون بينهما، منها الجوار الجغرافي، والمصالح المشتركة، الا ان واقع الحال اشار ان سوريا تحولت الى ملاذات امنة لقيادات نظام (حزب البعث المنحل) ونشاطاتهم، على الرغم من التصريحات التي قامت بها الحكومة السورية في محاولة لتبرئة نفسها من اتهامها بمساعدة المجاميع الإرهابية في الدخول عبر حدودها العراق ،الا ان الدعم المقدم من قبل الحكومة السورية كان واضحا للعيان من اجل إشعال الفتنة الطائفية لضمان وعدم الاستقرار في العراق وخوفا من الديمقراطية الجديدة في المنطقة العربية [٢٢].

بالمقابل كان الموقف العراقي من احداث سورية في منتصف آذار عام ٢٠١١، على النقيض تماما من الموقف السوري للنظام السياسي العراقي بعد عام ٢٠٠٣، كانت البداية بتصريحات وسطية الى جانب الشعب السوري، وضرورة اللجوء الى الحل السياسي السلمي بين المعارضة السورية والنظام الحاكم، واتخذ العراق مواقف واضحة الى جانب رفض العنف وسياسية الاقصاء منها [٢٣].

١. عارضت الحكومة العراقية قرار الجامعة العربية في اجتماعها عام ٢٠١١ لتعليق المشاركة السورية لاجتماعات الجامعة العربية اللاحقة.

(٢٢) ابراهيم حبيب ، مستقبل العراق في خصم التحولات الإقليمية سوريا تحديدا ، (مركز العراق للدراسات ، مطبعة الساقي ، بغداد ، العراق ،)٢٠١٣ ، ص٢٥.

(٢٣) عمار شريف كاظم العظماوي ، الحدود العراقية السورية دراسة في الجغرافية السياسية ، رسالة ماجستير (غير منشورة)، (جامعة بغداد، كلية الآداب : ٢٠٠٧)، ص ٢٠٠ .

٢. التحفظ على العقوبات الاقتصادية التي فرضتها الدول العربية ضد الحكومة السورية .

٣. ايقنت الحكومة العراقية مبكراً من ان حرب طائفية ستجتاح العراق وسوريا في حال نجاح المعارضة السورية في اسقاط الحكومة السورية، اذ بدأت واضحا ان المعارضة السورية هي جماعات متشددة ، بينما جاء الموقف الشعبي العراقي اكثر جرأة عندما شاركت فصائل من الحشد الشعبي ضد مقاتلي الجماعات المتطرفة، وكانت الهوية الفرعية لفصائل المقاومة حاضرة في سبب قتالهم وهو الدفاع عن مرقد السيدة (زينب عليها السلام) الى جانب القوات النظامية السورية، وكما ذكرنا سابقا بان الحدود بين الدولتين كانت مفتوحة وغير مسيطر عليها في الاقل من الجانب العراقي، فضلا الى الحواضن من سكنة المدن الحدودية ودخول التنظيم الى المدن العراقية بسهولة وانسيابية .

ايقنت الحكومة العراقية مبكراً من ان حرب طائفية ستجتاح العراق وسوريا في حال نجاح المعارضة السورية في اسقاط الحكومة السورية

يتضح جلياً، ايلاء الحدود الجغرافية والسياسية اهمية قصوى لغرض تحقيق هدف تعزيز الامن وحماية المدن المتاخمة وعدم فسح المجال لاستثمار الهويات الفرعية في ضرب الهوية الوطنية من قبل الجماعات المتطرفة، ان الموقف العراقي لأحداث سوريا الرسمي والشعبي ساهم في انهاض حكومة سورية من كبوتها وادركت ان امنهما القومي مرتبط بأمن العراق، ومن المفروض استثمار الهوية الواحدة القاطنة على الحدود في تعزيز الامن القومي للبلدين لا اللجوء الى عكس ذلك .

ثالثاً:- الحدود العر اقية /السعودية، تبلغ ما بنسبة ٢٣،٥ ٪ من الحدود بين العراق والمملكة السعودية من مجموع طول الحدود العراقية، تسكن منطقة خط الحدود بين العراق والمملكة السعودية قبائل عربية هي امتداد للعشائر في كل من بادية الشام والجزيرة العربية، اشهرها قبائل (غزة، وشمر، والدويش)، وذات الحال مع سوريا فان الحدود الجغرافية غير معرقلة للتنقل بين القبائل، بل التنقل يحدث بكل سهولة وانسيابية،

وهو امر ليس وليد عام ٢٠٠٣، كذلك يوجد اتصال اجتماعي بين القبيلة واحدة في مدن احدهما تابعة للعراق واخرى تابعة للسعودية، اذن احدهم يحمل الجنسية العراقية وبينما الاخر يحمل الجنسية السعودية، وهذا يعني ان الحدود بين البلدين ليست أثنية بل من طائفة واحدة، مما يجعل أمن الحدود عبئا للدولة العراقية بسبب الاتفاق بين ابناء القبيلة الواحدة بسهولة ضد النظام السياسي الجديد مع دعم المملكة غير المحدود لهاذا الامر بحجة حماية المكون (السني)، وفي واقع الحال هو حماية العائلة المالكة والحكومة السعودية من الديمقراطية الجديدة التي اهم مخرجاتها واخطرها هو التداول السلمي للسطلة في كل دورة انتخابية، لقد كان أمن الحدود بين العراق والمملكة العربية السعودية عبئا للدولة العراقية للأسباب التالية [٢٤]:-

١. خط الحدود بين الدولتين صحراوية مفتوحة يمكن عبورها بسهولة، ان مرونة هذه الحدود سهلت ضرب العراق في حرب الخليج الثانية (١٩٩٠–١٩٩١)، وحرب الخليج الثالثة عام ٢٠٠٣. وكذلك سهلت دخول التنظيمات الارهابية عام ٢٠١٤، واختراقها لمدن عراقية، وتهديدها لأمن بغداد.
٢. كان للملكة السعودية دور كبير في اسقاط النظام السياسي عام ٢٠٠٣، عبر تقديم المساعدات الفنية واللوجستية لقوات التحالف الدولية، الا انها لم تخف مخاوفها في ان وجود تجربة سياسية ديمقراطية جديدة في العراق من شأنها ان تؤثر على الشأن الداخلي السعودي، فصعود احزاب اسلامية وتحديداً (شيعية)، تؤثر في الشأن السعودي الداخلي، لان (شيعة) السعودية يعدو (شيعة) العراق هم عمق الاستراتيجي لهم، هذا التقارب يعد خطرا على المملكة، لذلك شكل الارهابيون السعوديين نسبة ٤١ ٪ من مجموع الارهابيون الاخرون [٢٥]، وبمساعدة المؤسسة الدينية السعودية، تنامى الارهاب في العراق خصوصاً والمنطقة عموماً، تحت حجج قتال الامريكان في افضل ما ادلوا به، بينما كانت هناك تصريحات علنية عبر وسائل الإعلام في تكفير طائفة (الشيعة) من الشعب العراقي [٢٦].

(٢٤) صادق حسن السوداني ، العلاقات العراقية -السعودية ، دراسة في العلاقات السياسية ، بحث منشور ، (مطبعة الجاحظ ، بغداد : ١٩٧٥)، ص ١١٦ .

(٢٥) ويكيليكس هي منظمة دولية غير ربحية تنشر تقارير وسائل الإعلام الخاصة والسرية من مصادر صحفية وتسريبات أخبارية مجهولة. بدأ موقعها على الإنترنت سنة ٢٠٠٦ تحت مسمى منظمة سن شاين الصحيفة https:// ar.wikipedia.org/

(٢٦) مرتضى السيد ، الموقف السعودي من الانتخابات العراقية ، مجلة شؤون السعودية ، العدد (٢٣)، (لندن : ٢٠٠٥)، ص ٢٢ .

وهكذا نجد ان التدهور الامني في الحدود بين العراق والسعودية والدور الكبير الذي قدمته المملكة للجماعات المتطرفة ساهم كثيرا في تهميش الهوية الوطنية في العراق وتصارع الهويات الفرعية لاسيما المذهبية منها من اجل خدمة مصالحها على حساب مصلحة الشعب العراقي.

ثانياً. تطوير وتعزيز علاقات العراق الخارجية .

بداية ينبغي تحديد ما المقصود بمصطلح السياسة الخارجية، وان كان هذا الامر ليس سهلا وذلك لوجود اختلاف في الافكار والرؤى في تعريف هذا المصطلح، الا ان ابسط تعريف له هو " نشاط خارجي للدولة مع الفاعلين الدوليين في النظام الدولي "، إذ تتوجه الدولة في تحقيق أهدافها السياسية مع الدول الاخرى على وفق المصالحة الوطنية، فكيف يمكن تنفيذ هذا المعنى للسياسية الخارجية في ظل ما تشهده البيئة الاقليمية من صراعات عديدة منها داخلية، وآخري إقليمية، وثالثة دولية، قادت هذه البيئة الى توتر واضطراب امني واختلال في الادوار الاقليمية وادى الى بروز ادوار جديدة وتدخل بالشؤون الداخلية للغير - هذا على المستوى العام – اما على المستوى الخاص بالعراق ينبغي تتوفر جملة من الثوابت التي لابد منها، اي تستند عليها السياسة الخارجية العراقية عند رسم سياساتها في المرحلة المقبلة [٢٧]. وهنا يتطلب تحقيق السياسات الاتية [٢٨]:-

ان التدهور الامني في الحدود بين العراق والسعودية والدور الكبير الذي قدمته المملكة للجماعات المتطرفة ساهم كثيرا في تهميش الهوية الوطنية في العراق وتصارع الهويات الفرعية

١. اقامة علاقات متوازنة مع الولايات المتحدة الامريكية وكذلك روسيا الاتحادي ودول اوربا بشكل يحقق مصلحة العراق اولاً، وترك سياسية الاعتماد او تفعيل علاقات انفرادية مع دولة واحدة او اثنتين، نحو وترك بقية الفواعل الدولية الاخرى، ولعل الجانب الاقتصادي هو افضل جانب يتم به تحقيق التوزان في العلاقات، وهو طريق يسمح للعراق ان لا يكون مكان لصراع بل هو مكان للتنافس الاقتصادي في مختلف القطاعات.

(٢٧) اعداد (السيد صباح النور) إشراف (محمد الغريفي) ، علاقات العراق الخارجية ومستقبلها، المركز الديمقراطي العربي . ٦ يونيو ٢٠٢١ منشور على موقع https://democraticac.de/?p=٧٥٣٤٢

(٢٨) مثنى علي حسين المهداوي، اثر المتغير الامريكي في العلاقات الروسية العراقية المعاصرة ، مجلة دراسات دولية ، العدد ٤١ ، (جامعة بغداد: ٢٠٠٩)، ص ١١ .

٢. تعزيز العلاقات مع (الصين) و(اليابان) سياسياً واقتصاديا واجتماعياً، بغية تحقيق تكامل في العلاقات بين مختلف دول العالم من جهة، وتطوير الواقع العراقي في مختلف القطاعات.
٣. رفع شعار المصلحة العامة للعراق اولا في سياسة العراق الخارجية، وهذا الامر يتطل حنكة سياسية، فمثلا التفاوض مع دول يحتاجها في مجال الاستثمار، هو غير التفاوض نحو الدول التي يحتاجها في المجال الامني والعسكري، كما ان التفاوض لقبول المساعدات تكون مختلفة عما ذكر انفاً، اذ ينبغي ان يكون التفاوض هنا تفاوض الرابح الذي يقبل المساعدات من الدول لبناء الدولة دون قيد او شرط من الاخر.
٤. عقد الاتفاقيات الثنائية الدولية المعنية بحقوق الإنسان والحريات العامة كرسالة اطمئنان الى شعوب وحكام المنطقة.
٥. استثمار القوى الناعمة كـ(وسائل الاعلام والرياضة والفن والسياحة) للتأثير في أفكار الآخرين وتغير صورة العراق الراسخة في اذهانهم، والتي روج لها الاعلام المعادي للعملية السياسية وللفر العراقي

تستشف الباحثة، ان العلاقات العراقية مع الدول العربية او غير العربية، يمكن ان تشهد تنامي وتطور لا سيما اذا امتلك الطرف الاخر الجدية في تطوير العلاقات تفعيل مثل هذه الجدية تكون عبر التذكير الدائم ان الامن القومي مرتبط واحد بالأخر، وان المصلحة العامة تتطلب العيش سوية بسلام وامان تحت هوية واحدة .

ثالثاً :- الدور الدولي العراقي الذي يتناسب مع مكانته السياسية .

لا يمكن ان نغفل حقيقة مفادها ان حجم التحديات الاقليمية والدولية التي تواجه السياسة الخارجية كبيرة، وتتطلب اجراءات تطوير في الاداء، ومن اجل ذلك لابد :- [٢٩]

١. اعتماد الكفاءة والخبرة والحنكة والولاء للوطن في اختيار من يمثل العراق خارجيا سوى من حيث المفاوضون او السفراء او

(٢٩) كوثر عباس الربيعي، سياسية العراق الخارجية بين القيود والفرض، مجلة الدراسات الدولية، العدد ٤٤، ص١٠

الدبلوماسيون عبر اخراج وزارة الخارجية، أي بتعبير آخر، ان التعينات في وزارة الخارجية ينبغي ان تكون خارج نظام المحاصصة الحزبية.

٢. استثمار الفرص لكسب الاصدقاء من الدول عن طريق تقديم المساعدات اثناء الكوارث الطبيعية والتزام الحياد اثناء الحروب، وارسال بين الحين والاخر رسائل اطمئنان للدول المجاورة ان الديمقراطية في العراق ينبغي لتثبيتها ولن تكون هناك محاولات لتصديرها بل الشعوب والحكومات لأي دول هي المعنية وليس الدول الاخرى.

٣. تفعيل دور العراق في المحافل الدولية وترك الانحسار في العلاقات الدولية التي سببتها سياسات نظام (حزب البعث المنحل) عبر البحث باستمرار من قبل السياسيين العراقيين مقتربات للتعاون مع مختلف دول العالم.

٤. احترام السيادة لدول الجوار وعدم التدخل في شأنها الداخلي، وهذا الامر ينسحب على دول المحيط الاقليمي والدولي، ان اقامة علاقات الاحترام والمعاملة بالمثل هو الاساس في بناء الأمن القومي الذي يعتمد على أولوية المصالح في بناء الانظمة السياسية.

٥. تعميق الانتماء العروبي للعراق عبر تفعيل دوره ومواقفه الوطنية تجاه القضايا العربية في جامعة الدول العربية، وذات الدور في المنظمات الدولية لتعميق علاقاته بالمحيط الدولي.

٦. تأكيد أواصر الاخوة مع الدول العربية واواصر الصداقة مع دول العالم، واستثمار تلك العلاقات لتحقيق مصالح العراق، ومراعات الشرعية الدولية والالتزام بالمعاهدات والاتفاقيات .

٧. استثمار القوى الناعمة في اقامة شبكة العلاقات الدولية لتوظيفها في تحقيق تعاون وثيق وهذا يتطلب اعلاما ناضجا موحد ووعي سياسي فعال.

ويبقى نجاح الدول في اعلاء مصالحها وتحقيق اهدافها، ومن اهمها ان تكون هناك هوية وطنية جامعة لكل افراد الشعب مرهونا بتوظيف الامكانيات والقدرات البشرية وغيرها لخدمة مصالح الدولة، والعراق مهيئ لمثل هذه القدرات، لاسيما في الآونة الاخيرة وبعد الاستقرار الامني ولا يحتاج سوى الاستقرار السياسي وهو مرهون ايضا بجدية ورغبة القيادات الوطنية في تحقيق جملة سلوكيات تم ذكرها سابقا وما سنذكره لاحقا في مقترات الخاتمة.

الخاتمة:

مما سبق ذكره في متن البحث اصبح واضحا ان التحديات الخارجية التي تقف حجر عثرة امام الهوية الوطنية العراقية هي من عززت ازمة في الهوية الوطنية، ويتطلب سياسية خارجية بناءة تقوم مبدأ حسن الجوار وتفعيل المصالح المتبادلة مع دول الجوار ودول العالم، نستطيع الوصول الى **الاستنتاجات** الاتية :-

١. لم يتوصل السياسيون في العراق منذ قيام دولتهم في فرض هوية وطنية جامعة للهويات الفرعية طيلة العهد الملكي، ولم تفلح سياسة صهر الهويات الفرعية في هوية وطنية واحدة، الا ان الامر بعد عام ٢٠٠٣، اختلف، اذ برزت ازمة في الهوية الوطنية العراقية ساعد الاحوال الامنية المتدهورة على استقبالها من خارج الحدود، سواء كانت هذه الاحوال داخلية ام خارجية، واصبح الجميع تدرك شعوب وحكومات، ان معالجة ازمة الهوية في العراق هي مدخلاً لمعالجة ما يهدد الامن القومي لدول الجوار، لأنها تفسح المجال للجماعات الارهابية المتطرفة الدخول عبر الحدود،وانتقالها بسهولة للدول الاخرى كما حدث في العراق وسوريا، فضلا عن معالجة لكل الازمات المرتبطة بها.

٢. لم تفت الفرصة في معالجة ازمة الهوية الوطنية، لاسيما ان التحديات الداخلية تعتمد على الاستعداد الشعبي الذي يظهره بين الحين والاخر في مناسبات عدة ، وستبقى التحديات الخارجية مرهونة بمدى جدية وقدرة النظام السياسي ووزارة الخارجية في حلها والعودة بالعراق بان تتبوأ المكانة التي يستحقها التي فرضتها التاريخ والجغرافية قبل كل شي.

المقترحات:

بما ان موضوع البحث هي التحديات الخارجية وكيفية مواجهتها في بذل جهود على المستوى الاقليمي والدولي نذكرها باختصار في الاتي:

١. **تعزيز وتطوير علاقات العراقية مع دول الجوار**، ينبغي على بغداد ان تصفر مشكلاتها مع دول الجوار وغيرها وبأشراف الحكومة الاتحادية، وتأمين المداخل الحدودية للعراق، وتعزيز القدرات الامنية ، مع حل قضية كركوك بالتفاهم مع سكانها عبر استفتاء يتم فيه توضيح اهم مطالبهم، والاهم مما ذكر سابقاً هو العمل على انهاء الدور العسكري لحزب العمال الكردستاني المقيم في شمال العراق، وتعزيز الروابط العشائرية المتواجدة على الحدود، والنظام السياسي، ومهم جدا ان

يأخذ الاعلام دوره في توضيح الحقيقة الاتية: ان الارهاب والفكر المتطرف لا تخدم المصالح المشاركة بل على العكس تقوض المصالح الدولية ، والخاسر فيهم بسبب الفكر المتطرف هم شعوب الدول، بينما المصلحة المشتركة تتطلب التعاون بينهم في مجالات عدة، كما اختيار الكفاءات والخبرات كشخصيات دبلوماسية معتدلة تحظى بمقبولية لدى دول الجوار أمرا لابد منه .

ثانياً:- ممارسة الدور العراقي الذي يستحقه عالميا، يقيم العراق عبر سياسته الخارجية، وأدواته الدبلوماسية علاقات ترتكز على المصالح المشتركة مع الصين واليابان، وهو شريكٌ استراتيجيُ مع الولايات المتحدة الأمريكية عبر اتفاقية الإطار الاستراتيجي، وهنالك اتفاقات شراكة استراتيجية مع روسيا الاتحادية وألمانيا وفرنسا وروسيا وبريطانيا وهولندا وفي مجال المنظمات الدولية والإقليمية، لدى العراق حضور فعال في الأمم المتحدة، وجامعة الدول العربية، ومنظمة التعاون الإسلامي، ومنظمة دول عدم الانحياز وغيرها، علينا استثمار هذه الشراكة في تعزيز موقعه دوليا مع استثمار اعلامي صحيح لمثل هذه الشراكات لتزداد ثقة المواطن العراقي بنظامه السياسي.

المصادر

اولاً :-الوثائق المنشورة

١. الدستور العراق الدائم لعام ٢٠٠٥.

ثانياً: الكتب

١. ابراهيم حبيب، مستقبل العراق في خصم التحولات الإقليمية سوريا تحديدا، (مركز العراق للدراسات، مطبعة الساقي، بغداد، العراق : ٢٠١٣).
٢. ابراهيم نصر الدين وماجد كيالي واخرون، حال الامة العربية ٢٠١٣-٢٠١٤ مراجعات ما بعد التغيير، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٤).
٣. احمد السيد النجار واحمد يوسف احمد ونيفين مسعد واخرون، حالة الامة العربية ٢٠١٧-٢٠١٨ عام الامل والخطر، (مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، بيروت، ط١، ٢٠١٨).
٤. احمد حلواني ويسري العزباوين واخرون، حال الامة العربية ٢٠١٥-٢٠١٦ العرب وعام جديد من المخاطر، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٦).

٥. احمد عبد ربه وزياد حافظ ونيفين مسعد واخرون، حالة الامة العربية ٢٠١٢-٢٠١٣ مستقبل التغير في الوطن العربي مخاطر داهمة، (مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، بيروت، ط١، ٢٠١٣).
٦. اسعد عبد الوهاب عبد الكريم ورؤى خليل سعيد واخرون، بناء دولة العراق تيارات متضاربة ورؤى مستقبلية، مؤسسة الرضوان الثقافية،(بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٢١).
٧. حسن ابو هنية و محمد ابو رمان، تنظيم الدولة الاسلامية: الازمة السنية والصراع على الجهادية العالمية، ط/١، (مؤسسة فريد رش ايبرت، عمان، ٢٠١٥).
٨. حسن سالم بن سالم، تنظيم داعش والارهاب العابر للحدود، الرياض، (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، ٢٠١٦).
٩. رفعت سيد احمد، داعش خلافة الدم والنار،ط/١، (دمشق، دار الكتاب العربي) .
١٠. نيثان غردلز مايك ميدافوى، ترجمة بثينة الناصري، الاعلام الامريكي بعد العراق حرب القوة الناعمة، المركز القومي للترجمة، (مصر، القاهرة، ط١: ٢٠١٥).
١١. نيفين عبد المنعم مسعود، صنع القرار في ايران والعلاقات العربية -الإيرانية، (مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، بيروت، ط٢ : ٢٠٠٢).

ثالثاً: الدوريات والمجلات

١. اسراء كاظم الحسيني، التحولات الجغرافية السياسية والفوضى الخلاقة، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العدد عشرون، تموز ٢٠١٥.
٢. حميد فاضل حسن، الهوية الوطنية العراقية: ازمات الماضي والحاضر، مجلة العلوم السياسية، العدد ٣٤، كلية العلوم السياسية، (جامعة بغداد :٢٠٠٧) .
٣. خير سالم ذيابات، التوجهات الاستراتيجية لتنظيمي القاعدة والدولة الاسلامية: دراسة مقارنة / مجلة المنارة للبحوث والدراسات / المجلد ٢٢، العدد ٣، (جامعة آل البيت، الاردن، ٢٠١٦).
٤. صادق حسن السوداني، العلاقات العراقية -السعودية، دراسة في العلاقات السياسية، بحث منشور، (مطبعة الجاحظ، بغداد : ١٩٧٥)، ص ١١٦ .
٥. ظلال جواد كاظم، احمد مرزوق عبد عون، الحدود السياسية لبعض دول جوار العراق وأثرها في نمو ظاهرة الإرهاب بعد عام ٢٠٠٣، مجلة البحوث الجغرافية، العدد (٢٧)، (جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات).

٦. فلاح محمود خضر البياتي وعبد الكريم حسين عبد، سياسة الاحتلال البريطاني للعراق في منطقة الفرات الاوسط ١٩١٧-١٩٢٠م، مجلة كلية التربية الاساسية، (جامعة بابل، العدد /٦، ٢٠١٢).
٧. كوثر عباس الربيعي، سياسية العراق الخارجية بين القيود والفرص، مجلة الدراسات الدولية، العدد ٤٤، ص١٠
٨. مثنى علي حسين المهداوي، اثر المتغير الامريكي في العلاقات الروسية العراقية المعاصرة، مجلة دراسات دولية، العدد ٤١، (جامعة بغداد : ٢٠٠٩).
٩. المختار عمر برطشة، ازمة الهوية الوطنية في ليبيا وانعكاساتها على الاستقرار السياسي، مجلة كلية الاداب، العدد ٢٩، ج٢ حزيران ٢٠٢٠.
١٠. مرتضى السيد، الموقف السعودي من الانتخابات العراقية، مجلة شؤون السعودية، العدد (٢٣)، (لندن : ٢٠٠٥).

رابعاً- رسائل واطاريح

١. عمار شريف كاظم العظماوي، الحدود العراقية السورية دراسة في الجغرافية السياسية، جامعة بغداد، كلية الآداب، رسالة ماجستير (غير منشورة)، ٢٠٠٧.
٢. علي صباح صابر، الاحتلال الامريكي على العراق واشكالية بناء الدولة،٢٠٠٣-٢٠١٤، (جامعة الشرق الاوسط، كلية العلوم السياسية،(رسالة ماجستير غير منشورة) عمان : ٢٠١٥).
٣. كاظم علي مهدي، التنمية السياسية وازمات النظام السياسي في العراق بعد عام ٢٠٠٣، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية : ٢٠١٨).
٤. لطيف كامل كليوي، تحليل جغرافي سياسي للسياسة الخارجية العراقية حيال تركيا وايران، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة البصرة، كلية الآداب، قسم الجغرافية : ٢٠١٤).
٥. وجدان فالح حسن الساعدي، نمط ادارة الحكم في العراق واثاره السياسية والاقتصادية للمدة (١٩٢١-٢٠٠٦)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، (جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية: ٢٠٠٧).

خامسا :-الشبكة المعلوماتية العالمية

١. اعداد (السيد صباح النور) إشراف (محمد الغريفي)، علاقات العراق الخارجية ومستقبلها، المركز الديمقراطي العربي . ٦ يونيو ٢٠٢١منشور على موقع https://democraticac.de/?p=75342

٢. ويكيليكس هي منظمة دولية غير ربحية تنشر تقارير وسائل الإعلام الخاصة والسرية من مصادر صحفية وتسريبات أخبارية مجهولة. بدأ موقعها على الإنترنت سنة ٢٠٠٦ تحت مسمى منظمة سن شاين الصحيفة https://ar.wikipedia.org/